

يدور حاسم في حرب ١٩٤٨ ، ثم تحولت الى (جيش الدفاع الاسرائيلي) . في العام ١٩٤٢ ، كان ٤٣٠٠٠ من اليبشوف ، رجالا ونساء ، يحملون السلاح كمتطوعين في جيوش الحلفاء . هذه القوة العسكرية ، التي كانت تشرف عليها سياسيا « الهاغاناه » ، والتي استفادت من تأهيل عسكري جيد ، كانت احدي انجازات اليبشوف التي حسمت المعركة مع العرب . يقينا ان اليبشوف كان مقسما الى احزاب متنافسة وتخرقه خصومات داخلية وصراعات سياسية وتناقضات مجتمعية ، الا انه يبقى صفا واحدا ازاء الخارج ، وهو يملك الاجهزة التي تصون وحدته هذه وتعبّر عنها (٨) .

هذه الصورة توضح دون لبس ان اليبشوف كان كله (عدا الاطفال والشيوخ) معبئا ومهيئا للمعركة القادمة ، بل كان كله في المعركة ، سواء كانت ساخنة أو باردة ، على هذه الجبهة أو تلك ، في هذا الصعيد أو ذاك . وبكلمة : كان اليبشوف مجتمعا سياسيا أو مسيسا ، قائما على مرتكزات مجتمعية وايدولوجية حديثة بوجه عام .

بالمقابل ، لا نجد شيئا من هذا القبيل في الجانب الفلسطيني . جماعة غير سياسية يجبر القسم الاكثر وعيا والاكثر نفوذا منها (اي افندياتها) ، تحسّت ضغط تهديد خارجي ، على دخول ميدان السياسة . والى هذا الميدان حملت ، بالطبع ، قيمها وايدولوجياها ووعيتها ومصالحها . لذا فالاطر السياسية التي زعم انها حديثة ، الاحزاب ، لم تستطع ان تسيس او تؤطر الشعب تسيسا وتأييرا حديثين . وكان من الطبيعي ان يوجد بين هذه الاحزاب خلافات برنامجية (عدا حزب الاستقلال) ، لانها كانت امتدادا للانقسامات العشائرية والعائلية التي تخترق المجتمع التقليدي الفلسطيني ، بل ان هذه الاحزاب « الحديثة » توضع فوق تلك الانقسامات وعبرت عنها « وحدثتها » . كذلك لم تكن الجماعة الفلسطينية تملك تنظيما عماليا يذكر بالهستدروت ، بل على العكس فقد عملت الاحزاب الاكثر تقليدية على محاصرة وخنق النويات العمالية العربية الاخذة في التكون انذاك . كما لم تكن تملك تنظيمات فلاحية تذكر بالكيوتزات ، الامر الذي فاقم عجز وضعف الجسم السياسي الفلسطيني . ناهيك عن ان الاخير لم يقم ، بشكل منهجي ودائم ، بانشاء منظمات عسكرية تذكر بالهاغاناه .

هذه الصورة التي للبنية السياسية الفلسطينية ، ومقارنتها بالبنية السياسية التي لليبشوف ، تفسر بوضوح كاف الانتصارات السهلة والسريعة التي احرزها اليبشوف في حرب ١٩٤٨ ، انتصارات كشفت القصور والتفسخ العربيين . لا التفوق والقوة اليهوديين . كما تفسر بوضوح كاف لم كانت مدن وقرى عربية تسقط ، في العام ١٩٤٨ ، بسهولة بيد اليبشوف والاف المسلحين العرب قابعين في قراهم (٩) .